

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف المسيلة

مخبر الشعرية الجزائرية

تحليل الخطاب بين المداخل اللغوية و المناهج النقدية

محور المشاركة: المناهج التراثية في تحليل الخطاب

-عنوان المشاركة: التماسك النصي في التراث النقدي العربي (تطبيقات على قصيدة المساء لإيليا أبي ماضي)

إعداد: الطالبة زكور نزيهة

تعد اللسانيات النصية أحد الموضوعات المهمة في مجال الأبحاث اللغوية الحديثة، فقد عرفت تطورات عديدة بعد أن تجاوزت مرحلة الجملة و اتخذت من النص وحدة للمعالجة و هدفا للدراسة، والمتتبع للدراسات الغربية في مجال لسانيات النص يجدها منصبة حول الترابط النصي كونه العنصر الجوهرية في بناء و تماسك و انسجام النصوص، و على الرغم من الحقبة الزمنية التي تفصل بين الدراسات العربية و الدراسات الحديثة للغة إلا أن العائد إلى ثانيا أمهات كتب النقد العربي يجد أن النقاد العرب على غرار الجاحظ، و حازم القرطاجني لهم باع لا يستهان به في مجال لسانيات النص كما تعرف اليوم خاصة و أنه ورد في مؤلفاتهم مصطلحات و مفاهيم ذات صلة بما تدرسه لسانيات النص اليوم على غرار التلاحم و التناسق... و الهدف من هذه الورقة البحثية هو الكشف عن التقارب في المفاهيم و حتى المصطلحات التي اقرها النقاد العرب و ما تشهده لسانيات النص اليوم من خلال الأبحاث الغربية، و كذا الإجابة عن الاشكال التالي: كيف قدم التراث النقدي مفهوم التماسك النصي و آلياته؟ و إلى أي مدى ظهرت آليات التماسك النصي في قصيدة المساء لإيليا أبي ماضي؟

الكلمات المفتاحية: لسانيات النص، التماسك النصي، الانسجام، الاتساق.

قبل التطرق لمفهوم لسانيات النص ننوه إلى أن النص قد حظي باهتمام القدماء من العرب فلم تقتصر دراساتهم على الجملة بل تجاوزتها إلى دراسة النص، ولعل هذا ما تشبهه القراءات في التراث العربي و التي تحيلنا بطريقة أو بأخرى إلى علم لسانيات النص، فما جاء به الإمام الجرجاني (ت 471 هـ) في نظرية النظم «يبرز قيمتها النصية في أنها جمعت بين علوم كثيرة كالنحو والبلاغة والتفسير وذلك خدمة للنص القرآني وبيان إعجازه فقد دعا إلى النظرة الشمولية التي تمكن القارئ من الوقوف على جماليات النص الأدبي»¹.

يبدو من خلال ما ذكره "الجرجاني" في نظرية النظم؛ حيث التعامل مع النص كونه بنية واحدة و كل متكامل، فنظرية النظم هذه تحمل في ثناياها بذور العلم الحديث المعروف بلسانيات النص وإلى جانب نظرية النظم نجد إسهامات "حازم القرطاجي" (ت 684هـ) فقد تميز بـ «نظرة أكثر شمولية للنص حيث قسم القصيدة إلى فصول، فهناك صلة بين مطلع القصيدة وآخرها فهو أول من قسم القصيدة العربية إلى فصول رغم أن لها أحكاما في البناء، وأول من أدرك الصلة الرابطة بين مطلع القصيدة، وما سماها بالمقطع، وهو آخرها الذي يحمل في ثناياها الانطباع الأخير والنهائي عن القصيدة»². هذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على براعة وفتنة الدارس العربي في تعامله مع النص المدروس وإن اختلفت وجهة النظر على ما هي عليه اليوم من دقة وتحديد للمصطلحات، كما نجد ما جاء به "الباقلاني" الذي أدرك أن القرآن نظام لغوي متميز فقال عنه «إذا تأملته تبين بخروجه عن أصناف كلامهم وأساليب خطابهم، إنه خارج عن العادة وأنه معجز، وهذه خصوصية ترجع إلى جملة القرآن، وتميز حاصل في جمعه»³. المتأمل لأقوال هؤلاء الثلاث (الجرجاني، القرطاجي، الباقلاني) يلحظ أن لهم نظرة شاملة للنص ومعالجته، فقد كانت لهم القدرة إلى تنبيه القارئ و توجيهه إلى المسلك المؤدي إلى تذوق جمالية النص، وكذا إمكانية تقسيم النص وعلاقة أوله بآخره إضافة إلى تميز النص القرآني وما يحتويه من إعجاز والانتباه إلى أن النص القرآني غير النصوص الأخرى من حيث خاصية الإعجاز الواقع في جمعه أما إذا ما أردنا الحديث عن لسانيات النص بمفهومها الحديث فإن «لسانيات النص فرع معرفي جديد تكون بالتدرج في النصف الثاني من الستينات والنصف الأول من

¹ ابن الدين بخولة، الإسهامات النصية في التراث العربي، أطروحة دكتوراه علوم، جامعة وهران، أحمد بن بله، 2016/2015، ص 8.

² نفسه، ص 8.

³ نفسه، ص 9.

السبعينات كردة فعل مغايرة على المناهج السابقة التي تعتبر الجملة هي الموضوع الأساسي للدراسة اللسانية، كونه أكبر وحدة لغوية قابلة للتحليل يهتم بدراسته النص باعتباره الوحدة اللغوية الكبرى وذلك بدراسة جوانب عديدة أهمها: الربط والتماسك و وسائله و أنواعه و الإحالة و السياق النصي و دور المشاركين في النص (المرسل والمتلقي) وعليه توجب على اللساني النصي بمفهوم "فان ديك" أن يبقى بحثه محصور في أبنية النصوص وصياغتها مع إحاطته بالعلاقات الاتصالية و الاجتماعية والنفسية العامة»⁴. و علم لسانيات النص موضوعه النصية (textualité) أي خصائص الاتساق والانسجام التي تجعل النص عبارة عن تسلسل للجمل فيعرفه "صبحي إبراهيم الفقي" «بأنه فرع من فروع علم اللغة الذي يهتم بدراسة جوانب عديدة أهمها الترابط أو التماسك و وسائله، أنواعه، والإحالة المرجعية وأنواعها والسياق النصي ودور المشاركين في النص المنطوق والمكتوب على حدّ سواء»⁵. و من بين ما تدرس لسانيات النص تدرس التماسك النصي و الذي جاء تعريفه في المعاجم اللغوية على أنه مأخوذ من مادة (م س ك) و هذه المادة فيها «الميم و السين و الكاف أصل واحد صحيح يدل على حبس الشيء أو تحبسه، و البخيل ممسك»⁶ و ورد في معجم لسان العرب لابن منظور (ت 710هـ) قوله «مسك بالشيء و أمسك به تمسك و تماسك و استمسك و مسك كله احتبس»⁷ و منه التماسك هو أن تحبس الأشياء و تماسك، فيمسك كل جزء منها بعضه البعض. و لم تخرج المعاجم العربية الحديثة في شرحها للفظ التماسك عما جاء به أصحاب المعاجم التراثية غير أنها فصلت في شرحها حيث نجدها قد ربطت التماسك بالجانبين الشكلي و الدلالي؛ حيث جاء في معجم الوسيط أن التماسك هو: «ترابط أجزاء الشيء حسيا أو معنويا، و منه: التماسك الاجتماعي، و هو ترابط أجزاء المجتمع.»⁸ فالتماسك هو ارتباط بين شيئين، قد يكون هذا الارتباط حسيا ماديا أو معنويا دلاليا. و ما نستشفه من المعنى اللغوي هو أن التماسك النصي يعني: الربط بين الأجزاء.

⁴ المرجع السابق، ص 51.

⁵ صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية و التطبيق دراسة تطبيقية على السور المكية، دار قباء، القاهرة، مصر، ج 1، ط 1، 2000، ص 32.

⁶ ابن فارس، مقاييس اللغة، ج 5، ص 320.

⁷ ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ج 10، 2003، ص 487.

⁸ مجمع اللغة العربية، معجم الوسيط، ص 869.

التماسك النصي اصطلاحاً: أخذت ظاهرة التماسك النصي حظاً وافراً من الدراسة، فالتماسك خاصية ضرورية يجب توافرها في كل نص ذلك أنه «من عوامل استقرار النص ورسوخه، و من ثم تتضح أهميته في تحقيق استقرار النص، بمعنى عدم تشتت الدلالات الواردة في الجمل المكونة للنص»⁹ و يؤكد العديد من علماء لسانيات النص على أن التماسك يربط بين جانبيين: الجانب الشكلي المادي، و الجانب الحسي المضموني، إذ يتحقق التماسك في النص من خلال «التحام ظاهر النص مع باطنه و بعبارة أخرى التحام شكله مع مضمونه»¹⁰ و عليه يقسم التماسك إلى قسمين: التماسك الشكلي الذي يهتم بالعلاقات الشكلية التي تحقق التماسك الشكلي للنص، و التماسك الدلالي و الذي يهتم بالعلاقات الدلالية بين أجزاء النص من ناحية و بين ما يحيط به من سياقات مختلفة من ناحية أخرى¹¹. و عليه يعد التماسك النصي هو أهم شيء بالنسبة لتحليل النصي و من ثمة عده بعض الباحثين شرطاً ضرورياً و كافياً للتعرف على ما هو نص، و على ما ليس نصاً، و تكمن أهمية التماسك النصي في:¹²

أولاً: التركيز على كيفية تركيب النص كصرح دلالي.

ثانياً: إعداد روابط التماسك المصدر الوحيد للنصية.

ثالثاً: التعرف على ما هو نص و ما هو غير ذلك.

رابعاً: الربط بين الجمل المتباعدة زمنياً.

يندرج تحت ظاهرة التماسك النصي نوعان من العلاقات، أو نقول مفهومين يعملان على تجسيد الترابط النصي، إما على مستوى ظاهر النص، أو على مستوى باطن النص، فالأول هو الاتساق و الثاني هو الانسجام.

الاتساق: هو عبارة عن ربط عناصر النص في المستوى السطحي، مما يحقق تماسك أجزاء النص من خلال علاقات الترابط اللفظية حيث يعرفه محمد خطابي بقوله «هو التماسك الشديد بين الأجزاء المشكلة لنص/الخطاب ما، و يهتم فيه بالوسائل اللغوية (الشكلية) التي تصل بين العناصر المكونة لجزء من الخطاب أو

⁹ صبحي إبراهيم الفقي، نفسه، ص74.

¹⁰ العيد علاوي، التماسك النحوي أشكاله و آلياته دراسة تطبيقية لنماذج من شعر محمد العيد آل خليفة، مجلة قراءات، العدد3، جامعة محمد خيضر،

بسكرة، الجزائر، 2011، ص127.

¹¹ ينظر، صبحي إبراهيم الفقي، نفسه، ص96.

¹² نفسه، ص100.

برمته، من أجل وصف إتساق الخطاب/النص يسلك المحلل - الواصف طريقة خطية، متدرجا من بداية الخطاب (...) حتى نهايته»¹³ و في حديث محمد خطابي عن ماهية التماسك جاء على ذكر أهم الروابط المساهمة في إتساق النص و تماسكه فيرصد الواصف/ المحلل «الضمائر و الإشارات المحيلة إحالة قبلية أو بعدية مهتما أيضا بوسائل الربط المتنوعة كالعطف، و الاستبدال، و الحذف، و المقارنة، و الاستدراك... كل ذلك من أجل البرهنة على أن النص/ الخطاب (المعطى اللغوي بصفة عامة) يشكل كلا متآخذا»¹⁴ و من الآليات التي يتم من خلالها دراسة إتساق النص (الإحالة، الاستبدال، الحذف، الوصل، الربط المعجمي).

الإحالة: تعد الإحالة من أهم وسائل الإتساق و قد حظيت باهتمام معظم دارسي اللسانيات النصية، و يعرفها دي بوجراند على أنها: «العلاقة بين العبارات و الأشياء و الأحداث و المواقف على العالم الذي تدل عليه العبارات ذات الطابع البدائي في نص ما، إذ تشير إلى شيء ينتمي إلى نفس عالم النص»¹⁵ و الإحالة بهذا المعنى عبارة عن علاقة بين عنصرين الأول هو المحيل و الثاني هو المحال عليه. و تتجلى الإحالة في النصوص من خلال عناصر تسهم في ربط النص، سابقه بلاحقه، و يطلق عليها الأزهر الزناد اسم "العناصر الإحالية" و هي عنده «قسم من الألفاظ لا تملك دلالة مستقلة، بل تعود على عنصر من عناصر أخرى مذكورة في أجزاء أخرى من الخطاب. فشرط وجودها هو النص، و هي تقوم على مبدأ التماثل بين ما سبق ذكره في مقام ما و بين ما هو مذكور بعد ذلك في مقام آخر»¹⁶ و ظهرت الإحالة بصورة جلية في قصيدة المساء نذكر نماذج على سبيل الذكر لا الحصر:

النص	العنصر الاحالي	وسيلة الإحالة	نوع الإحالة	المحال عليه
و الشمس تبدو خلفها	الهاء	الضمير	مقامية	السحب
و البحر ساج صامت فيه خشوع الزاهدين	الهاء	الضمير	مقامية	البحر
إني أراك كسائح	ياء المتكلم/ ك	الضمير	مقامية	الشاعر/سلمى

¹³ محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي، المغرب، ط2، 2006، ص5.

¹⁴ نفسه، ص 5.

¹⁵ روبرت دي بوجراند، النص و الخطاب و الإجراء، تر: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1998، ص 320.

¹⁶ الأزهر الزناد، نسيج النص بحث في ما يكون به الملفوظ نصا، المركز الثقافي العربي، ط1، 1993، ص 118.

يرجو صديقا في الفلاة	هو ضمير مستتر	الضمير	قبليّة	السائح
----------------------	---------------	--------	--------	--------

كان للإحالة دور بارز في إتساق القصيدة و ترابطها، من خلال ربط أجزاء الأبيات بعضها ببعض، و ربط السابق باللاحق، مما سمح بتحقيق سيرورة القصيدة و تمكن بذلك الشاعر من تصوير حالة سلمى و التي عبر من خلالها عن خوف الانسان من العدم، و تنوعت الإحالة في القصيدة بين مقامية و مقالية بنوعها القبليّة و البعدية، فأسهمت بذلك في ترابط القصيدة.

الاستبدال: يرى د. نعمان بوقرة أن الاستبدال من و سائل الترابط النصي، و التي تتم بين العناصر اللغوية داخل النص، فهو عنده «صورة عن التماسك النصي، التي تتم في المستوى النحوي المعجمي بين كلمات أو عبارات، و هو عملية تتم داخل النص، إنه تعويض عنصر في النص بعنصر آخر، و صورته المشهورة استبدال لفظة بكلمات»¹⁷ و ينقسم الاستبدال إلى ثلاثة أنواع:¹⁸

1 استبدال إسمي: و يتم باستعمال العناصر التالية: آخر، آخرون، نفس

2 استبدال فعلي: و يمثل استعمال الفعل (يفعل)

3 استبدال قولي: و يستعمل فيه العنصران: هذا، ذلك

الحذف: يعتبر الحذف واحدا من الآليات التي تجعل النص أكثر إتساقا و تماسكا و بلاغة و يتحدد الحذف في الدراسات اللسانية النصية في كونه «علاقة من علاقات الإتساق المعجمية النحوية تتم داخل النص، تتكون بافتراض عنصر غير ظاهر في النص، يهتدي المتلقي إلى تقديره اعتمادا على نص سابق مرتبط به، و هذا يعني أن الحذف عادة علاقة قبليّة؛ لأنه في معظم الأمثلة يوجد العنصر المحذوف المفترض في النص السابق، أو الجملة السابقة»¹⁹

الربط المعجمي: و يشتمل أشكال التكرار و التضام.

الوصل: و يضم الوصل الاضافي و الاستدراكي و الاسمي و الزمني.

عرفنا فيما سبق أن النص يتشكل من خلال اتحاد الجانب الشكلي مع الجانب المضموني، هذا الأخير الذي يمثل أساس بناء أي نص؛ حيث تسعى لسانيات النص إلى دراسة التماسك على مستوى مضامين النصوص

¹⁷ نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص و تحليل الخطاب دراسة معجمية، عالم الكتب الحديث للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2009، ص63.

¹⁸ محمد خطابي، نفسه، ص20.

¹⁹ زاهر بن مرهون بن خصيف الداودي، الترابط النصي بين الشعر و النثر نصوص الشيخ عبد الله بن علي الخليلي أنموذجا دراسة تحليلية مقارنة، الجامعة الأردنية، أطروحة دكتوراه، 2007، ص94.

لتحديد مدى ترابطها، و يعد الانسجام من أهم المفاهيم التي اعتنت بها لسانيات النص فيعرف الانسجام على أنه «العلاقات التي تربط معاني الأقوال في الخطاب، أو معاني الجمل في النص، و هذه الروابط تعتمد على معرفة المتحدثين و السياق المحيط بهم»²⁰ كما عرفه دي بوجراند بأنه «هو الالتحام و يتطلب من الاجراءات ما تنشط به عناصر المعرفة لإيجاد الترابط المفهومي و استرجاعه، و تشتمل و سائل الالتحام على عناصر المنطقية كالسببية و العموم و الخصوص معلومات عن تنظيم الأحداث و الأعمال و الموضوعات و المواقف و السعي إلى التماسك فيما يتصل بالتجربة الانسانية، و يتدعم الالتحام بتفاعل المعلومات التي يعرضها النص»²¹ و للانسجام آليات تعمل على جعل النص كل ترابط جملة و فقراته بعضها ببعض، نذكر من هذه الآليات:

العلاقات الدلالية: «تعمل على جمع أطراف النص أو تربط بين متوالياته [الجمالية] أو بعضها دون بدو وسائل شكلية تعتمد في ذلك عادة»²² و منها علاقة الاجمال و التفصيل، علاقة السبب بالنتيجة، علاقة الشرط بالجواب. و المتأمل في قصيدة المساء يجد أن الشاعر اعتمد على علاقة الاجمال و التفصيل؛ حيث نجد أن نهاية المقطع هي نهاية جملة لتكون بعدها بداية المقطع الموالي تفصيلا لما سبق فمثلا نهاية المقطع الأول كانت عبارة عن تساؤل سلمى... بماذا تحلمين ليبدأ بعد ذلك الشاعر المقطع الثاني بتفصيل التساؤلات: أرأيت أحلام الطفولة تختفي خلف التخوم؟ أم أبصرت عينك أشباح الكهولة في الغيوم؟

موضوع الخطاب/البنية الكلية: تؤكد معظم الدراسات على «وجود رابطة محددة بين "موضوع الخطاب" و "محتوى الخطاب" فموضوع الخطاب يعتبر إلى حد ما شاملا للعناصر "المهمة" الموجودة في محتوى الخطاب. و لو أمكن عرض عملية تصوير محتوى الخطاب في شكل سلم هرمي للعناصر الموجودة في الخطاب لا اعتبرنا العناصر الواقعة في أعلى السلم مرشحة تلقائيا لأن تكون المكونات الأكثر أهمية في موضوع الخطاب»²³ و هذه الآلية قريبة المعنى و الهدف لما عبر عنه جازم القرطاجني في الشرط الثالث من شروط تماسك النص و سيأتي ذكرها لاحقا.

²⁰ صبحي إبراهيم الفقي، نفسه، ص94.

²¹ روبرت دي بوجراند، المرجع نفسه، ص103.

²² محمد خطابي، نفسه، ص268.

²³ براون و يول، تحليل الخطاب، تر: محمد لطفى الزليطني و منير التريكي، النشر العلمي و المطابع، دط، 1997، ص124، 125.

التعريض: يعرفه براون و يول بأنه «نقطة بداية قول ما» و نقطة بداية أي نص تكمن في عنوانه أو الجملة الأولى، فالعنوان عنصر مهم في سيميولوجيا النص، ففيه تتجلى مجموعة من الدلالات المركزية للنص الأدبي، إذ يشير لدى القارئ توقعات قوية حول ما يمكن أن يتضمنه النص لذا عده " براون" و "يول" أقوى وسيلة من وسائل التعريض لاحتوائه على وظائف رمزية مشفرة بنظام علامي دال على عالم الإحالات، أما الجملة الأولى فهي تمثل معلما عليه يقوم اللاحق منها و يعود فهي تأثر في تأويل ما يأتي من النص/الخطاب الذي كانت نقطة بدايته»²⁴

التماسك النصي في النقد العربي: كان للعرب القدامى اهتمام كبير بالنص، فقد ورد في كتبهم ملامح ما يجب أن يكون عليه النص الشعري فكان للجاحظ حديث عن تلاحم النص الشعري و تناسقه و هي من المفاهيم التي تقوم عليها لسانيات النص الحديثة، فالجاحظ تناول قضية التماسك النص من خلال كتابه البيان و التبيين؛ حيث عرف الشعر بقوله «و أجود الشعر ما رأيت متلاحم الأجزاء سهل المخارج، فتعلم أنه أفرغ إفراغا واحدا، و سبك سبكا واحدا، فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان»²⁵ فالشعر بهذا التصور شبيه بالبيان المتماسك المنسجم و لقد ربط الجاحظ الشعر الجيد بسهولة مجراه على اللسان دون مشقة، فيكون البيت فيه كأنه كلمة واحدة، كما ذم الشعر الركيك الذي تحس و كأن اللفظة ليس لها علاقة بما قبلها و ما بعدها فتكون مستكرهة ثقيلة على لسان القارئ و يصعب فهم معانيها يقول: «و من ألفاظ العرب [ما] تتنافر و إن كانت مجموعة في بيت شعر واحد، لم يستطع المنشد إنشادها إلا ببعض استكراه»²⁶ و في هذا إشارة من الجاحظ إلى أن تماسك النص يكون من خلال تلاحمه؛ حيث عبر عن ذلك من خلال "تلاحم الأجزاء" و اهتمامه كان منصبا على الأجزاء المشكلة للشطر (الألفاظ)، وكذا الأجزاء المشكلة للألفاظ (الحروف/الأصوات) فهو يرى أن الشعر الجيد يرتبط بسهولة مجراه على اللسان دون مشقة، و ذم الشعر الذي تلحظ أنه لا علاقة بين ألفاظه، فاللفظة لا علاقة لها بما قبلها و لا بعدها.

²⁴ الطيب الغزالي قراوة، الانسجام النصي و أدواته، مجلة المخبر، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، العدد الثامن، 2012، ص70.

²⁵ محمد خطابي، نفسه، ص 142.

²⁶ نفسه، ص 142.

و نستخلص من هذا أن "تلاحم الأجزاء" مترتب عن تلاؤم الأصوات المشكلة للألفاظ و تباعد المخارج المكونة للكلمات مما يجعل تجاورها ممكنا، و بالتالي يسهل على اللسان النطق بها، و على المنشد إنشادها كما يمكن حصر الأجزاء في ما يلي:²⁷

- الأبيات المشكلة للقصيدة.
- الأجزاء المشكلة للبيت (الصدر و العجز).
- الأجزاء المشكلة للشطر – الألفاظ.
- الأجزاء المشكلة للفظ – الحروف (الأصوات).

أما حازم القرطاجني كانت نظرتة أكثر دقة و عمق في معالجة الكيفيات التي تتماسك بها النصوص، و هذا ما يفسح عنه كتاب "مناهج البلغاء و سراج الأدباء" حيث قسم القصيدة إلى فصول «و ما يريده بكلمة الفصول هو أن بعض أبيات القصيدة تلتقي، و تترابط، مؤلفة وحدة معنوية تكاد تكون مستقلة أو تستطيع أن تكون مستقلة عن بقية الفصول الأخرى للقصيدة»²⁸ و قد قدم حازم القرطاجني شروطا لتماسك الفصل في القصيدة العربية نحاول فيما يلي ذكر هذه الشروط مع توضيحها على قصيدة المساء لإيليا أبي ماضي.

القانون الأول: «لاستجدادة مواد الفصل و انتقاء جوهرها» و يمكن أن يقسم إلى مجموعة مطالب:²⁹

- أن تكون مواد الفصل متناسبة المسموعات و المفهومات.
- أن تكون مواد الفصل حسنه الاطراد.
- أن تكون مواد الفصل غير متخاذلة النسخ.
- أن تكون مواد الفصل غير متميز بعضها عن بعض التميز الذي يجعل كل بيت كأنه منحاز بنفسه.

جاءت قصيدة المساء لإيليا أبي ماضي مقسمة إلى عشرة مقاطع حاول الشاعر من خلالها أن «يخاطب

²⁷المرجع السابق، ص 143.

²⁸إبراهيم خليل، الأسلوبية و نظرية النص، مؤسسة العربية للدراسات و النشر، ط1، 1997، ص59.

²⁹محمد خطابي، نفسه، ص 150.

الانسان عبر فتاة سماها سلمى [و التي حاول من خلالها أن يصور] خوف الانسان من العدم الزاحف»³⁰
و المقطع الأول- على حد تعبير حازم القرطاجني- فإن أبياته تتم عن حسن اختيار الشاعر للألفاظ
و اعتماده الرمز في التعبير عن حالة الذهول التي تصيب الانسان في حالة الخوف و هذا ما يمثله قول
الشاعر في مطلع القصيدة: السحب تركض في السماء الرحب ركض الخائفين

و الشمس تبدو خلفها صفراء عاصبة الجيين

و البحر ساج صامت فيه خشوع الزاهديين

فالمأمل لأبيات القصيدة يجد أن هناك تناسبا بين الألفاظ المختارة لبناء هذا الفصل من القصيدة خاصة
و أن الشاعر تحدث عن السحب و ركضها في السماء و الشمس و هي خلفها، ثم صور البحر و هو ساج
صامت و في الأخير صور تلك العيون و هي باهتة في الأفق البعيد ليلفت الانتباه في الأخير إلى سبب هذه
الحالة بسؤاله بماذا تفكرين؟ بماذا تحلمين؟ و من هنا يظهر الترابط و التماسك على مطلع القصيدة ذلك
أن أبياتها امتدادا و تنمة لبعضها البعض و كل بيت يرتبط بما سبقه و بما يلحقه.

و يندرج تحت القانون الأول شرط و هو: أن يكون نمط نظم الفصل مناسباً للغرض [هذا قريب مما يعرف
في آليات الانسجام بموضوع الخطاب و قد سبق ذكره] حيث تعتمد فيه الجزالة في الفخر، و العذوبة في
النسيب»³¹ فتوافق الألفاظ (المعجم) التي يختارها الشاعر مع الغرض الذي ينظم فيه قصيدته، و هذا
الحديث يعيدنا إلى مبدأ بلاغي اعتنى به السكاكي و الذي يعني «مطابقة الكلام لمقتضى الحال» و هكذا فإنه
يتوافق مع مبدأ الوجاهة الذي «يقضي مناسبة المقال للمقام و فيه اجتماع السياقين الداخلي للنص
و الخارجي للمناسبة»³² و من الواضح أن شاعر التفاؤل إيليا أبو ماضي احسن اختيار ألفاظ قصيدة المساء
فاستخدم ألفاظ سهلة بعيدة عن التعقيد تحمل المعنى المراد إبلاغه، فجاءت الألفاظ ملائمة للموقف فعبر

³⁰ إيليا أبو ماضي، الأعمال الشعرية كاملة، جمع: عبد الكريم الأشتر، مؤسسة جائزة عبد العزيز، الكويت، 2008، ص 49.

³¹ محمد خطابي، نفسه، ص 151.

³² ينظر، براون و يول، نفسه، ص 44.

عن إحساس المتشائمين باستخدام ألفاظ (صفراء، عاصبة الجبين، خشوع، الدجى،...) أما تعبيره عن إحساس المتفائلين فكان باستخدام ألفاظ على غرار: الأزهار، جميلا طيبا، متهللا، البشاشة...)

القانون الثاني: و الذي يراه القرطاجني ضروريا لتماسك النص فإنه يرتبط «ترتيب الفصول إلى بعض»³³ وهذا القانون له علاقة بمطلب «أن يقدم في الفصول ما يكون للنفس به عناية بحسب الغرض المقصود بالكلام (...). و يتلوه الأهم فالأهم»³⁴ و قصيدة المساء واحدة من القصائد التي صور فيها الشاعر نظرتة التفاؤلية فبدأ الفصل الأول باستعمال الألفاظ التي تعبر عن القسوة و الرهبة فجعل المساء رمزا للغروب و الفناء يريد من خلالها أن يصور خوف الانسان من العدم و الفناء، إلى أن جاء المقطع السابع الذي عبر فيه عن النظرة المغايرة النظرة التفاؤلية و صور بذلك الجانب الإيجابي للمساء في قوله:

إن كان قد ستر البلاد سهولها و وعورها

لم يسلب الزهر الأريج و لا المياه خريها

كلا، و لا منع النسائم في الفضاء مسيرها

مازال في الورق الحفيف و في الصبا أنفاسها

و العندليب صداحه

لا ظفره و جناحه

وهكذا استطاع الشاعر أن ينتقل بالقارئ إلى فكرة مفادها «أن الليل الذي يطمس ملامح الكائنات على الأرض، يوقظ في الوقت نفسه الأحلام المرغوبة، و تنتشر في سمائه الكواكب النيرة»³⁵ حيث قدم الشاعر دعوة للتفاؤل من خلال خطابه الموجه للفتاة سلمى في قوله:

فاصغي إلى صوت الجدول جاريات في السفوح.

³³ محمد خطابي، نفسه، ص 152.

³⁴ نفسه، ص 152.

³⁵ إيليا أبو ماضي، نفسه، ص 50.

واستشقي الأزهار في الجنات ما دامت تفوح.

و تمتعي بالشهب في الأفلاك ما دامت تفوح. (إلى آخر المقطع)

ليختم النص في الأخير بدعوته إلى الفرح بالحياة بالدعوة الصريحة إلى أن نعيش الحياة بايجابياتها بدل أن نرجع البصر في بعض حقائقها. وذلك من خلال المقطع الأخير (العاشر).

الشرط الثالث: يرى القرطاجني أنه يتمثل في «تأليف بعض بيوت الفصل إلى بعض: يجب أن يبدأ منها [أبيات الفصل] بالمعنى المناسب لما قبله. و أن تأتي مع هذا أن يكون ذلك المعنى هو عمدة معاني الفصل و الذي له نصاب الشرف (...). على أن كثيرا من الشعراء يؤخرون المعنى الأشرف ليكون خاتمة الفصل»³⁶ فالقرطاجني تحدث عن وجود نوعين من الشعراء، النوع الأول من يجعل من المعنى الأشرف فاتحة لقصيدته، أما النوع الثاني فهو من يجعل من المعنى الأشرف خاتمة لقصيدته، و يفضل القرطاجني أن يكون هذا المعنى «في بداية الفصل رغم أن الشعراء يؤخرونه، و في كلتا الحالتين يبقى الهدف واحدا، فحين يوضع في رأس الفصل يجعل قطبا يدور في فلكه ما ينتمي إلى هذا الفلك، و حين يجعل في آخره تتناصر المعاني لخلقها و للتأدية إليه»³⁷ و ما نجده في قصيدة المساء فإن المعنى الأشرف جاء في نهاية القصيدة حيث ترك الشاعر دعوته للتفاؤل إلى آخر القصيدة من خلال دعوته إلى ترك التشاؤم و التشبث بالحياة حتى في وقت المساء في قوله:

فدعي الكآبة و الأسى و استرجعي مرح الفتاة

قد كان وجهك في الضحى مثل الضحى متهللا

فيه البشاشة و البهاء

ليكن كذلك في المساء.

³⁶ محمد خطابي، المرجع السابق، ص 153، 154.

³⁷ نفسه، ص 154.

فهي دعوة صريحة للتفاؤل و ترك المخاوف و هذا ما تأكده عبارة (ليكن ذلك في المساء) فلتكن النظرة الإيجابية للحياة في المساء مثلما هي عليه وقت الضحى. و بهذا يكون الشاعر قد عاد بنا في نهاية القصيدة إلى بدايتها؛ أي إعادة الاعتبار للمساء كونه يحمل في ثناياه الكثير من الأمور الإيجابية و التي تدعو للتفاؤل؛ أي ارتباط مطلع القصيدة بنهايتها.

و كان لحازم القرطاجني حديث عن تماسك الفصول فيما بينها، و هذا ما يمكن اعتباره القانون الرابع و الذي يختص بمدى اتصال الشكل بالمضمون؛ أي اتصال العبارة بالغرض و هو ما يتم وفق أساليب أربعة:

1 ضرب متصل العبارة و الغرض.

2 ضرب متصل الغرض منفصل العبارة.

3 ضرب متصل العبارة دون الغرض.

4 ضرب منفصل الغرض و العبارة.

و ما نلاحظه على قصيدة المساء أنها تنتمي إلى الضرب الأول ؛ أي (ضرب متصل العبارة و الغرض) و الذي عرفه القرطاجني بأنه «يكون فيه لآخر الفصل بأول الفصل الذي يتلوه علقه من جهة الغرض و ارتباط من جهة العبارة، بأن يكون أحد الألفاظ التي في أحد الفصلين يطلب بعض الألفاظ التي في الآخر من جهة الاسناد و الربط»³⁸ و قصيدة المساء تتميز بالوحدة العضوية و الشاعر قسمها إلى عشرة مقاطع كما سبق الذكر و كل مقطع يفضي للمقطع الذي يليه بسلاسة و ترابط منطقي، فقد بدأ الشاعر القصيدة بأجواء التشاؤم و ختمها بالدعوة إلى التفاؤل.

قائمة المراجع:

- 1 الأزهر الزناد، نسيج النص بحث في ما يكون به الملفوظ نصا، المركز الثقافي العربي، ط1، 1993.
- 2 إبراهيم خليل، الأسلوبية و نظرية النص، مؤسسة العربية للدراسات و النشر، ط1، 1997.

³⁸ المرجع السابق، ص 155.

- 3 إيليا أبو ماضي، الاعمال الشعرية كاملة، جمع: عبد الكريم الأشتر، مؤسسة جائزة عبد العزيز، الكويت، 2008.
- 4 ابن فارس، مقاييس اللغة، ج5
- 5 ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ج10، 2003.
- 6 بن الدين بخولة، الاسهامات النصية في التراث العربي، أطروحة دكتوراه علوم، جامعة وهران1، 2016/2015.
- 7 براون و يول، تحليل الخطاب، تر: محمد لطفي الزليطني و منير التريكي، النشر العلمي و المطابع، دط، 1997.
- 8 روبرت دي بوجراندي، النص و الخطاب و الاجراء، تر: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1993.
- 9 زاهر بن مرهون بن خصيف الداودي، الترابط النصي بين الشعر و النثر نصوص الشيخ عبد الله بن علي الخليلي أنموذجا دراسة تحليلية مقارنة، الجامعة الأردنية، أطروحة دكتوراه، 2007.
- 10 صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية و التطبيق دراسة تطبيقية على السور المكية، دار قباء، القاهرة، مصر، ج1، ط1، 2000.
- 11 الطيب الغزالي قواوة، الانسجام النصي و أدواته، مجلة المخبر، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، العدد الثامن، 2012.
- 12 العيد علاوي، التماسك النحوي أشكاله و آلياته دراسة تطبيقية لنماذج من شعر العيد آل خليفة، مجلة قراءات، العدد3، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 2011.
- 13 مجمع اللغة العربية، معجم الوسيط.
- 14 محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي، المغرب، ط2، 2006.
- 15 نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص و تحليل الخطاب دراسة معجمية، عالم الكتب الحديث للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2009.